مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

الشَّهِيد

العَرَبِي بْن بَلْقَاسِم "التَّبَسِّي"

1957 - 1891

منشورات المتحف الوطني للمجاهد

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2009
ر . د . م . ك : 978-9961-884-49-2
الإيداع القانوني : 2009-5883

المتحف الوطني للمجاهد

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

البريد الإلكتروني : Email: mnm@museenat-moudjahid.dz

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

الشهيد

العربي بن بلقاسم "التبسي"

1957 - 1891

مَازِلْتُ أذْكُرُ نهايـةَ تلك السَّنة الدّراسية -الَّتي لَنْ أنْسَاهَا طَوَالَ حَيَاتِي- وَأنَا فِي مَرْحلَةِ التَّعْلِيمِ الثَّانَوي، حِينَمَا طَلَبْتُ من أسْتَاذِ الأدبِ العرَبِي أن يَخُطّ لي كَلِمَةً للذِّكْرَى عَلَى دَفْتَرٍ خصَّصْتُهُ لِذَلِكَ.

كَتَبَ الأسْتَاذُ كَلِمَةً جَمِيلَةً قَالَ فِيهَا: "لِتَعْلَمْ يا بُنَيَّ إنَّ رِحْلَةَ العُمُرِ قَصِيرَةٌ، وأيَّامَهَا قَلِيلةٌ مهما بَدَتْ طويلَةً في حِسابِ السِّنِين، وإنَّ الزَّمَنَ كَفِيلٌ بأنْ يُسْدِلَ السِّتَارَ على أيِّ حَدَثٍ من الأحْداث؛ بل هو قادرٌ على الخَوْضِ في أعْماقِ النِّسيانِ، لِيَسْتَرْجِعَ الذِّكريات الغارِقَةَ في مُحيطَاتِ العُمُرِ، إنّهُ غَوَّاصٌ ماهرٌ وسَبّاحٌ قَادِرٌ... فَلْتَعْلَمْ يا بُنَيّ إنَّ طَالِبَ العِلْمِ

لَنْ يُـخْـذَلَ ولَنْ يُـذَلّ أبـداً إن صَـمّمَ عـلى أن يَعِيشَ حُرّاً خارِجَ قيودِ عـبوديَّةِ الجهْلِ، وخارجَ عبوديَّةِ المُحْتَلّ".

أثَّرتْ هذه الكَلِمَةُ في نَفْسي، وذكّرَتْني بتلك الكَلِمَة المُسَجَّلَة بصوت الشَّيْخِ الثّائِرِ في وَجْه جنودِ فَرَنْسَا، وهو يُوَدّعُ طَلَبَتَهُ في مَعْهَدِ ابْنِ بَاديسَ بقسنطينة.

في الحين طَلَبْتُ من صديقي بن يوسف أنْ يُشَغِّلَ الشَّريطَ المُسجَّلَ ليُسْمِعَنا تلك الكَلِمَةَ المُؤَثِّرَةَ، ونَحْنُ عَلى وَشْكِ مُغَادَرَةِ مَقَاعِدِ الدِّرَاسَةِ أيْضًا.

بَدَا صَوْتُ الشَّيْخِ عَبْرَ الجِهَاز، هَادئًا يَنْسَابُ في الأعْمَاقِ، يُحْدِثُ في النَّفْسِ حَالَةً مِنَ الشُّعُورِ بِالشُّمُوخِ وَالكِبْرِيَاءِ:

"أَنْتُمْ جُنُودُ اللَّه وَالوَطَن، إيَّاكُمْ وَارْتِيَادَ أَمَاكِنِ اللّهْوِ وَالمَقَاهِي! جَنّدوا أَنْفُسَكُمْ للإِسْلاَمِ وَالوَطَنِ، حَدِّثُوا آبَاءَكُمْ وَأَقَارِبَكُمْ عَنْ تَعْلِيمِكُمْ وَشُيُوخِكُمْ، وَمَا سَمِعْتُمْ مِنْهُمْ مِنَ النَّصَائِحِ. عَلِّمُوهُمْ مَا تَعَلَّمْتُمْ مِنَ الدِّينِ وَالأَخْلاَقِ. حَدِّثُوهُمْ عَنْ الاسْتِعْمَارِ وَظُلْمِه، فَهَذَا وَاجِبُكُمْ فِي عُطْلَتِكُمْ. فَأَنْتُمْ أَمَلُ شَعْبِكُمْ، فَلاَ تَنْشَغِلُوا عَنْ وَاجِبَاتِكُمْ بِمَا يَسُرُّ أَعْدَاءَ وَطَنِكُمْ، وَيَغِيظُ آبَاءَكُمْ. تَذَكَّرُوا مَعِيشَةَ آبَائِكُمْ وَمَسْكَنَهُمْ وَمَلْبَسَهُمْ، وَكَيْفَ آثَرُوكُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَمَّهَاتِهِمْ، وَمَكّنُوكُمْ مِنْ فُرَصِ التَّعَلُّمِ لِتُنِيرُوا الطَّرِيقَ أَمَامَهُمْ؛ تِلْكَ هِيَ الرِّسَالَةُ الَّتِي نُكَلِّفُكُمْ بِتبليغها إلى آبَائِكُمْ وأَقَارِبِكُمْ؛ وَتِلْكَ أَمَانَةُ الْعِلْمِ فِي أَعْنَاقِكُمْ، إلى أَنْ تَعُودُوا إلى مَعْهَدِكُمْ."

قُلْتُ لصَديقي (بن يوسف)؛ مَنْ هُوَ صَاحبُ هَذه الكَلمَة القَوّية الَّتي تَحْفرُ في أعْمَاق النَّفْس بَعيداً؟ أجَابَ: هُوَ الشَّيْخُ الّذي قَالَ عَنْهُ الْعَلاّمَةُ عَبْدُ الْحَميد بْنُ بَاديس "هُوَ ابْنُ الزَّيْتُونَة وَالأزْهَر، شَارَكَ مُشَاركَةً قَويَّةً في عُلوم الشّريعَة والأدَب، نَقيُّ الْفُؤَاد، وَاسعُ الْفكْر والْعلْم، فَصيحُ اللّسَان، محْجَاجٌ قَويُّ الْحُجَّة، حُلْوُ الْعبَارة، شَديدُ الْحُبّ لدينه وَوَطَنه، حَريصُ الدِّفَاعِ عَنْهُمَا".

وَهُنَا، رُحْتُ أبْحَثُ عَنْ تَفَاصيل هَذه الشَّخْصيَّة بَيْنَ سُطُور هَذه الْكَلمَات، وَأنَا أحَدّثُ نَفْسي قَائلا: تُرَى مَنْ يَكُونُ هذا الّذي يَجْمَعُ بَيْنَ الشَّريعَة والأدَب وَالفكْر وَالْعلْم وحُبّ الْوَطَن؟ وَهُنَا لاَحَ لي بَريقٌ في الأفُق، فأضَاء لِيَ دَرْبَ الطّريقِ في لَحْظَةٍ خَاطفةٍ،

فَعَزَمْتُ عَلَى الرِّحْلَة، لِتَقَصِّي أَخْبَارِ هذَا الشَّيْخِ فِي خَارِطَةِ الْجَزَائِرِ. وَهُنَاكَ فِي أَقْصَى الْحُدُودِ الشَّرْقِيَّة، وَتَحْدِيداً فِي مَدِينَة تبسّة تَوَقَّفَتْ بِي الرِّحْلَةُ، وَمِنْهَا تَوَجَّهْتُ صُحْبَةَ صَدِيقِي (بَنْ يُوسُفَ) إِلَى بَيْتِ شَيْخٍ طَاعِنٍ فِي السِّنِّ، لَهُ مَعْرِفَةٌ بِعُلَمَاءِ هَذِهِ الْمَنْطَقَة، فَرَحَّبَ بِنَا، وَرَاحَ يَقُصّ عَلَيْنَا (حِكَايَةَ كَاشِفِ الأَبَاطِيلِ).

قال: إنّه الْعَرَبِي بَنْ بَلْقَاسَم التّبسّي، أَحَدُ أَعْلاَمِ الإِصْلاَحِ فِي الْجَزَائِرِ. ولد عام 1891 بدُوَّارِ "السَّطْحِ" من عَرْشِ النَّمَامشة [بولاية تبسة].

قُلْتُ: كَيْفَ كَانَتْ حَالَةُ أُسْرَتِه؟

أَجَابَ: هُوَ مِنْ عَائِلَةٍ فِلاَحِيَّةٍ فَقِيرَةٍ. كَانَ

وَالِدُهُ إِلَى جَانِبِ مِهْنَةِ الْفِلاَحَةِ، يَتَوَلَّى تَحْفِيظَ الْقُرآنِ الْكَرِيمِ لِصِغَارِ الْقَرْيَةِ.

ثُمَّ سَأَلْتُهُ: وَمَاذَا عَنِ الطِّفْلِ "الْعَرَبِي" الَّذِي أَصْبَحَ فِيمَا بَعْدُ عَالِمًا؟

قَالَ: لَقَدْ تَتَلْمَذَ عَلَى يَدِ وَالِدِه، الَّذِي تُوَفِّيَ وابْنُهُ فِي الثَّامِنَةِ مِنَ الْعُمُرِ، فَانْتَقَلَ الطِّفْلُ "العَرَبِي" إِلى إِحْدَى زَوَايَا الْمَنْطِقَةِ فِي مَدِينَةِ (خَنْقَةِ سِيدِي نَاجِي)، حَيْثُ أَمْضَى ثَلاَثَ سَنَوَاتٍ، أَتمّ خلالها حِفْظَ الْقُرآنِ. ثُمّ الْتَحَقَ بِزَاوِيَةِ الشَّيْخِ مصطفى بن عزّوز فِي مَدِينَةِ (نَفْطَةَ) جَنُوبَ تُونس وَهِيَ الزّاوِيَةُ نَفْسُهَا الّتِي تَعَلَّم بِها وَالِدُهُ.

قَالَ بَنْ يُوسُفَ سَائِلاً الشَّيْخَ: وَهَلْ اكْتَفَى بِذَلِكَ الْمُسْتَوَى مِنَ التَّعْلِيم؟

قَـالَ الـشَّـيْخُ: لاَ، لَـقَـدْ الْـتَـحَقَ الْـعَـرَبْي التَّبَسّي بَـعْدَ ذَلكَ بجَامعِ الزَّيْتُونَة عَام 1915، وَهُنَاكَ وَجَدَ ضَالّتَهُ فِي الْعُلُومِ وَالْمَعَارف، حَيْثُ تَحَصَّلَ عَلَى الشّهَادَة الأَهْلِيَّة. وَفِي أَوَاخِرِ عَامَ 1919 انْتَقَلَ إِلَى القَاهِرَة، وَالْتَحَقَ بِالأَزْهَرِ الشّرِيف، حَيْثُ تَابَعَ دِرَاسَتَهُ العُلْيَا عَلَى أَيْدِي كِبَارِ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنْ تَحصّلَ عَلَى شَهَادَةِ العَالَمِيَّة .

قُلْتُ لِلشّيْخ: ثُمّ مَاذَا فَعَلَ؟

أَجَابَ الشّيْخُ: في عام 1927، عَادَ الشَّيْخُ الْعَرَبِي إِلَى الْجَزَائِرِ لِمُشَارَكَة رِجَالِهَا النَّاشطِينَ العَامِلِينَ فِي الْمَجَالِ الإِصْلاَحِي، وَمِنْهُمْ عَبْدُ الْحَمِيد بْنُ بَادِيسَ، والْبَشِيرُ الإِبْرَاهِيمي، وَالطّيّبُ الْعُقْبِي، وَمُبَارَكُ المِيلِي. وَذَلكَ بَعْدَ أَنْ أَمْضَى سَبْعَ سَنَوَاتٍ بِمصر، لَمْ يَتَوقَّفْ

خِلاَلَهَا عن مُتَابَعَةِ أَخْبَارِ وَطَنِه.

وَبَعْدَ عَوْدَته، اسْتَقَرّ فِي مَدِينَة تبسّة، حَيْثُ شَرَعَ فِي تَقْدِيمِ الدّرُوسِ والْمُحَاضَرَات، الّتي تَرْفَع دَرَجَات وَعْي السّكّان، وَتُحَذِّرُهُمْ منْ خُطُورَة الْمُسْتَعْمِرِ عَلَىَ الوَطَنِ وَعلَى اللُّغَة وَالدّين، كَمَا حَارَبَ الأفْكَارَ الطُّرُقِيَّةَ الْمُنْحَرِفَةَ، الّتي تَرَى أنّ الاسْتِعْمَارَ قَدَرٌ مَحْتُومٌ مِنَ اللّه.

أَحَبَّهُ الجَميعُ وَبَجَّلُوهُ وأقْبَلُوا عَلَى دُرُوسه، وَخَاصَّةً فئَةَ الشَّبَاب، وَهُنَا قَاطَعْتُ الشَّيْخَ قَائلاً: أَلَمْ تَتَفَطَّنِ الإدَارَةُ الاسْتِعْمَارِيَّةُ لِمَا كَانَ يَقُومُ بِهِ الشّيْخُ الْعَربي؟

قَالَ: بَلَى، تَفَطَّنَتْ لذَلكَ، وَتَدَخَّلَتْ بوَاسطَة عُمَلاَئِهَا لِمَنْعِه مِنَ التَّدْرِيسِ بِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ.

قُلْتُ: وَمَاذا قَالَ عَنْهُ مُعَاصِرُوهُ مِنَ

الشُّيُوخ والْعُلَمَاء؟

قَالَ عَنْهُ الأسْتَاذُ "مُحَمّدُ عَلِيّ دَبُّوز": «كَانَ دَرْسُ الشَّيْخ الْعَرْبي بَعْدَ صَلاَة الْعشَاء، فَيُسْرِعُ النَّاسُ منْ مَتَاجرِهم ومَنَازلِهمْ وَمنَ الْمَقَاهي لصَلاَة الْجَمَاعَة وَسَمَاع الدَّرْس؛ فَيَمْتلئُ بهم المَسْجدُ، وكَانَتْ دُرُوسُهُ في التَّفْسيرِ وَالْحَديث ... »

وَيُوَاصلُ الشَّيْخُ دَبُّوز قَوْلَهُ: "... لَمْ يَرُق للْفَرَنْسيِّينَ أنْ تَلْقَى دُرُوسُ الشَّيْخ التّبسّي ذَلكَ الإقْبَالَ، فَأخَذُوا يُضَيّقُونَ عَلَيْه وَعَلَى أنْصَارِه الْخنَاقَ".

قُلْتُ: مَاذَا فَعَلَ الشَّيْخُ التّبسِّي عنْدَئذٍ؟

قَالَ: لَقَدْ اسْتَشَارَ الشَّيْخُ التّبسِّي الإمَامَ

ابْنَ بَادِيسَ، فَنَصَحَهُ بِالانْتِقَالِ إِلَى مَدِينَةِ (سِيقْ) [بِوِلاَيَةِ مُعَسْكَرْ حَالِيًّا]، فَانْتَقَلَ إِلَيْهَا، وَأَمْضَى بِهَا مُدَّةَ عَامَيْنِ؛ مِنْ أَوَاخِرِ عَامِ 1929 إِلَى 1931، تَمَكَّنَ أَثْنَاءَهَا مِنْ نَشْرِ الدَّعْوَةِ الإِصْلاَحِيَّةِ.

وَفِي عَامِ 1932 عَادَ إِلَى تِبِسَّةَ، وَأَنْشَأَ جَمْعِيَّةَ تَهْذِيبِ البَنِينَ والْبَنَاتِ، كَمَا أَسَّسَ نَادِي الشُّبَّانِ الْمُسْلِمِينَ.

فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا هُوَ دَوْرُهُ فِي جَمْعِيَّةِ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْجَزَائِرِيِّين؟

قَالَ الشَّيْخُ: بَعْدَ تَأْسِيسِ جَمْعِيَّةِ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي عَامِ 1931، عُيِّنَ عُضْواً فِي مَجْلِسِهَا، ثُمَّ كَاتِبًا عَامًّا لَهَا. وَفِي الْعَامِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ ابْنُ بَادِيسَ 1940 أَصْبَحَ الْعَرَبِي

نَائِبًا لِرئِيسِهَا الْجَدِيدِ الشَّيْخِ البَشِيرِ الإِبْرَاهِيمِي، وَفِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ ظَلّ مُدِيراً لِمَدْرَسَةِ التَّهْذِيبِ بِتبسّة.

قَالَ صَدِيقِي (بَنْ يُوسُف) لِلشّيْخ الْمُتَحَدّث عَنْ سِيرَةِ الْعَرَبِي التّبَسّي: مَا قِصَّةُ الشّيْخِ التّبَسّي مَعَ الْحَاكِمِ الْفَرَنْسِي؟

قَالَ الشَّيخُ: دَعَاهُ الْحَاكِمُ الْفَرَنْسِيُّ عِدَّةَ مَرَّات، لِحُضُورِ الاحْتِفَالاَتِ الّتِي تُنَظِّمُهَا الإِدَارَةُ الفَرَنْسِيَّةُ، وَلَمَّا رَفَضَ التّبَسّي هَذه الدَّعَوَات اغْتَاظَ الْحَاكِمُ وَصَارَ يُضَايِقُهُ، وَمُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْت أَصْبَحَتِ الْمُوَاجَهَةُ عَلَنِيَّة بينهما.

قُلْتُ: وَمَاذَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ؟

قَالَ: لَقَدْ أَلْقَى الدَّرَكُ الْفَرَنْسِيُّ عَلَيْهِ الْقَبْضَ، وَهُوَ بِمَدِينَةِ الشَّرِيعَةِ، [التَّابِعَةِ لِوِلاَيَةِ

تبسّة حَاليًا] بَعْدَ أنْ قَدّمَ دَرْسًا لعَامَّة النّاس، ثُمّ أُطْلِقَ سَرَاحُهُ بَعْدَ أنْ تَلَقّى أبْشَعَ أنْوَاعِ الإهَانَة وَالسّجْنِ لمدّة ستّة أشْهُرٍ في سِجْنِ (لاَمْبيز) بباتْنَة [تَازُولْتَ حَاليًا]، وسِجْنِ (الكُدْيَة) بقَسَنْطِينَةَ. وَفِي عَامِ 1945 اتُّهِمَ بتَشْجِيعِ مُظَاهَرَاتِ الثَّامِن ماي، فألْقِيَ عَلَيْهِ الْقَبْضُ ثَانِيَةً إلَى جَانِبِ الشّيْخِ الْبَشِير الإبْرَاهِيمي، وأدْخلَ السّجْنَ، ولمّا أطْلِقَ سَرَاحُهُ عَامَ 1946 فُرِضَتْ عَلَيه الإقَامَةُ الجَبْرِيَّةُ.

وعنْدَمَا خَرَجَ الشّيْخُ الْبَشِيرُ الإبْرَاهِيمي مُتَوَجّهًا إلَى مِصْرَ، بَقِي الْعَرَبي التّبَسّي في الْوَطَنِ يَنُوبُ عَنْهُ في رِئَاسَة الجَمْعيَّة، إلى جَانبِ إدَارَته مَعْهَدَ عَبْد الحَميد بْن بَاديس، الّذي أسّسَتْهُ الْجَمْعيَّةُ سَنَةَ 1947 بقَسَنْطِينَةَ. وَعِنْدَمَا انْدَلَعَتِ الثَّوْرَةُ التَّحْرِيرِيَّةُ الْمُبَارَكَةُ عَام

1954، ابْتَهَجَ التّبسّي لهَذَا الْحَدَث الرَّائع، وسَخّرَ نَفْسَهُ لخدْمَتهَا. ولَمَّا أغْلَقَ الْمُسْتَعْمرُ الْفَرَنْسيّ المَعْهَدَ البَاديسيَّ، اسْتَقرّ الشَّيْخُ التّبَسّي في الْجزَائر الْعَاصمَة، وبالضّبْط في حَيّ بَلْكُور [في إحْدَى مَدَارس الْجَمْعيَّة] الّتي وَاصَلَ فيهَا إلْقَاءَ دُرُوسه، وأثْنَاءَهَا كَانَ يَحُثّ عَلَى الثَّوْرَة ضدّ الْمُحْتَلّ، دُونَ خَوْفٍ أوْ تَرَدُّدٍ.

وَممَّا يُذْكَرُ عَنْ سيرَة هَذَا الشَّيْخ الشّهيد، أنّهُ عنْدَمَا طَلَبَ منْهُ الْمَرْحُوم عَبّانْ رَمَضَانْ مُغَادَرَةَ الْجَزَائر حفَاظًا عَلَى حَيَاته، رَدّ عَلَيْه: "إذا خَرَجْتُ أنَا وَأمْثَالي في هَذَه الظُّرُوف، فَمَنْ يُشَجّعُ الأمَّةَ وَيَحُثُّهَا عَلَى مُسَانَدَة الثَّوْرَة؟! كَلاّ وَألْفُ كَلاَّ، سَأمْكُثُ هُنَا، وَلْيَكُنْ ما يَكُون".

وَهُنَا قَاطَعْتُ كَلاَمَ مُحَدّثي قَائلاً: ألَمْ يَكُنْ

يَخْشَى مِنْ سُخْطِ فَرَنْسَا؟ (أعْنِي، الإدَارَةَ الْفَرَنْسِيَّةَ).

قَالَ: لاَ، لَقَدْ نَذَرَ حَيَاتَهُ للشَّهَادَةِ وَالوَطَنِ، وَلَمْ يُبَالِ بِمَا سَيَلْحَقُهُ مِنْ أذًى فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ إلَى تَحْرِيرِه. فَقَدْ تَعَرّضَ إلى تَعْذِيبٍ شَدِيدٍ عَلَى يَدِ فَرَنْسَا، لَيْلَةَ اخْتِطَافه مِنْ مَنْزِله في الرَّابِعِ مِنْ أفْرِيل عَامَ 1957، بَعْدَ أَنْ اقْتَحَمَتْ بَيْتَهُ عَنَاصِرُ الْمُنَظَّمَةِ الإرْهَابِيَّة "الْيَد الْحَمْرَاء"، وأخْرَجَتْهُ بِكُلِّ قَسْوَةٍ وَوَحْشِيّة، بَعْدَ أنْ بَعْثَرَتْ كُتُبَهُ، وَعَامَلَتْ أفْرَادَ أسْرَتِه مُعَامَلَةً قَاسِيَةً. نَعَمْ، لَقَدْ أخْرَجَتْهُ عَارِيَ الرَّأسِ، حَافِيَ الْقَدَمَيْن، مُرْتَدِيًا ثِيَابَ النَّوْمِ فَقَطْ، ولم تَرْحَمْ شَيْخُوخَتَهُ، وَلاَ حَالَتَهُ الصّحّيّةَ، وَذَهَبَتْ بِهِ فِي الظَّلامِ الحَالِكِ إلَى جِهَةٍ مَجْهُولَةٍ.

قُلْتُ لِلشّيْخِ: وَمَاذَا حَدَثَ لِلتّبَسِّي بَعْدَ ذَلِكَ؟

قَالَ الشّيْخُ: لَقَدْ اغْتَالُوهُ، وأخْفَوْا جُثَّتَهُ، وَلاَ نَعْرِفُ مَكَانَهَا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.

قُلْتُ: يَكْفِي أنّهُ وَاحِدٌ منْ عُظَمَاء هَذَا الْوَطَنِ، وَوَاحِدٌ منْ شُهَدَائه، لَقَدْ كَشَفَ أَبَاطِيلَ جُنُودِ الْمُحْتَلِّ، وَكَأنّهُ يَقُولُ لَنَا عَلَى لِسَانِ أَحَد الشُّعَرَاءِ.

تِلْكَ آثَارُنَا تَدُلُّ عَلَيْنَا فَانْظُرُوا بَعْدَنَا إِلَى الآثَارِ

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار